موريتانيا بعد الانقلاب

هل يستطيع الملك الحسن الثاني ابتلاعها بالحسنى بعد فشله في ابتلاعها بالقوة ؟

الحسن الثاني : تخوف من الانقلاب وتهديد له

ما زال الموقف من الانقلاب العسكري الذي حدث في موريتانيا غامضا ..

فالاطراف المعنية والتي يؤثر عليها نوع الحكم في ذلك البلد العربي الافريقي لم تستطع ان تحدد موقفها من عملية الاستيلاء على السلطة ووضع رئيس الجمهورية الاسبق قيد الاقامة الاجبارية - تلك العملية العسكرية التي قامت بها وصفت بـ «لجنة الاصلاح الوطني»..

لقد تمت عملية الاستيلاء على السلطة دون مقاومة بعد ان وعدت السلطة العسكرية الجديدة - كعادة الانقلابات العسكرية - المواطنين بأنها ستضمن لهم كل الحريات الديمقراطية .. وبعد ان الغت السلطة الجديدة الحكومة والبرلمان والحزب الحاكم (الحزب الوحيد المسموح به) وكافة المنظمات التابعة له واوقفت العمل بالدستور .. واضاف بيان الانقلاب العسكري الاول بأن كل هذه المؤسسات « سيعاد بناؤها بشكل سليم وانه سيتم تشكيل حكومة جديدة قريبا » ..

وكعادة الانقلابات العسكرية ايضا بررت السلطة الاطاحة بنظام ولد داده السابق « بوضع حد لحكومته اللاوطنية واللاشعبية والفاسدة » .

واذا كان صحيحا ان هذه الصفات تصدق تماما على نظام الاستاذ ولد داده الذي صنعته فرنسا على يدها لتسلمه مقاليد السلطة في ذلك البلد الفقير المتخلف لتضمن من خلاله مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة الشمالية الغربية من افريقيا .. فالصحيح ايضا ان الهوية الوطنية والشعبية للانقلاب لم تتضح اي من ملامحها بعد .

مختار ولد داده - جاءت به فرنسا فمن ذهب به ؟

● ولد دادة .. صناعة فرنسية !

لقد حرصت فرنسا منذ بدء انتاج مناجم موريتانيا من الحديد الخام في العام ١٩٦٠ وهو نفس العام الذي عين فيه مختار ولد داده رئيسا للوزراء ليساعد على قيادة البلاد الى الاستقلال الذي حصلت عليه في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٠ ...

حرصت فرنسا منذ ذلك التاريخ على احلال توسع صناعي على قاعدة ثروة الحديد الخام في مقاطعة فورت غورو ، وعلى هذا الاساس نظمت الحياة الاقتصادية الموريتانية فاقيمت اول سكة حديدية واول ميناء .. وعندما اكتشف النحاس بعد ذلك زادت قيمة موريتانيا الاقتصادية في نظر فرنسا ..

فاذا اضيفت اهميتها الاستراتيجية كموقع لفرنسا في افريقيا والمغرب العربي حيث تجاور موريتانيا الجزائر والمغرب من ناحية ومالي والسنغال من ناحية اخرى وهي انظمة باستثناء النظام الجزائري تدور في الفلك الفرنسي ..

اذا اضفنا اهمية موريتانيا الاقتصادية الى اهميتها الاستراتيجية لتوضح الحرص الفرنسي الشديد على الحاق نظام ولد داده السابق الحاقا قويا بفرنسا ، ولعرفنا لماذا سبقت صحيفة « لوزور » الفرنسية الاحداث لتبدي مخاوفها من الانقلاب العسكري الذي لم تتضح ملامح اتجاهاته بعد والذي يحتمل ان ينحو منحى وطنيا مستقلا فيحل مشاكله مع جبهة « بوليساريو » ومع جارته القوية الغنية الجزائر .. لقد اظهرت الصحيفة اليمينية مخاوفها بادئ ذي بدء من انه « لا يوجد ادنى سبب يجعلنا نرحب بانقلاب قد يؤدي الى التصادم مع مبادئنا الديمقراطية والى الاساءة لاستقرار القارة المزعزع فعلا » . الديمقراطية والاستقرار من وجهة نظر الامبريالية الفرنسية بالطبع !

وتتابع الصحيفة الافصاح عن المخاوف الفرنسية بقولها « ولنا ان نتخيل الاضطرابات التي يمكن ان تنشأ في القارة اذا ثبت ان هذا الانقلاب تقف وراءه الجماهيرية او الجزائر والذي سيصل بحدود الجبهة الاسلامية التقدمية المتحالفة مع موسكو الى ابواب داكار وباماكو . ولكن لنأمل في ان يكون هذا الانقلاب وقائده الجديد مستعدين لبذل كل جهودهما لتقوية موريتانيا وتعزيز ارتباطها بالعالم الغربي » !!

وبنفس القدر من الحذر وتوقع الخطر عبرت المغرب عن موقفها من الانقلاب العسكري الموريتاني .. وكان النظام المغربي العميل اكثر حسما في التعبير عن مخاوفه وفي تحذير الحكم الجديد وتهديده بالعدوان اذا ما ظهرت عليه بوادر توجهات وطنية ، ففور الاعلان عن الانقلاب صرح وزير الاعلام المغربي بأنه تطور خطير وسيء .. ثم حذر في بيان رسمي من انه اذا ادى الانقلاب الى تغيير في الحكومة وبالتالي الى استبدال القوات المغربية « للمغرب تواجد عسكري في موريتانيا كما لفرنسا وان كان التواجد العسكري المغربي اقوى بسبب الهجمات التي يشنها ثوار بوليساريو » بقوات من دول مجاورة كالجزائر فسيكون هناك احتمال مواجهة وصدامات دامية في المنطقة ، فالمغرب - كما يقول البيان - لا يمكن ان يقبل ان تقوم الجزائر بمحاصرته ، ثم يوجه وزير الاعلام المغربي انظار النظام الجديد الى الحدود التي يسمح له ان يتحرك فيها وهي « التركيز على حل المشكلات الداخلية » .

وفي نفس الوقت نقلت مصادر الاخبار الغربية مخاوف وقلق النظام المغربي ازاء التطورات الجديدة في جارته موريتانيا وهو ما اسمته تلك المصادر « بعودة الجماهيرية الليبية للاهتمام بموريتانيا ، وهو الاهتمام الذي تجلى في الشهور

السادات ينشر الروح الاقليمية

● في الشارع الذي يقام فيه الاستعراضات العسكرية ، ويقوم فيه نصب الجندي المجهول بمدينة نصر في القاهرة ، تطل على المارة لافتة مثبتة امام بوابة ثكنة عسكرية كتب عليها :

« دائما .. مصر اولا » .

مثل هذا الشعار الاقليمي تزايد وجوده ورفعه في اماكن عديدة في مصر وعلى الاخص في معسكرات الجيش ، وذلك لتعبئة الجنود والمواطنين بروح اقليمية تتيح للسادات تمرير خيانته لقضية الشعب المصري والامة العربية من خلالها ، واكد عليه بعد زيارة السادات الخيانية للكيان الصهيوني .

غرامة على المتأخرين عن دفع الضرائب

● اصدرت سلطات الاحتلال الصهيوني في الاسبوع الماضي قرارا يقضي بمضاعفة الغرامة المالية على المتخلفين عن دفع ضريبة القيمة الاضافية التي فرضتها حكومة العدو عند تطبيق سياسة ايرليخ الاقتصادية الجديدة في شهر آب من العام الماضي .

ويقضي القرار بايقاع غرامة بين ١٠٠ الى ٤٠٠ ليرة عند تأخر المشمولين بالضريبة عن دفعها خلال المدة المقررة لذلك من قبل سلطات الاحتلال .

ومن الجدير بالذكر ان المواطن الفلسطيني في الارض المحتلة اصبح ينوء تحت وطأة الضرائب التي تفرضها عليه السلطات الصهيونية بحيث تستقطع غالبية دخله البسيط ، بالاضافة الى التخفيضات المستمرة لليرة التي لم تعد لها قيمة تذكر بالنسبة الى العملات الصعبة .

الماضية في صورة تبادل الوفود بين البلدين » .

ولم تجار الجزائر جبهة بوليساريو في تفاؤلها بالانقلاب الجديد ولكنها اخذت موقف المراقب باهتمام لما يحدث من تطورات في موريتانيا !

● هوية الانقلاب الغامضة :

وقد ذهبت التعليقات على الانقلاب العسكري الى حدود متناقضة بسبب تسرعها ورغبتها في الوصول الى نتائج عاجلة ومطمئنة من وجهة نظر المعلق ، فمن تشبيه الانقلاب الموريتاني بالانقلاب الافغاني التقدمي وتفسيره كاستكمال لعملية احكام الطوق السوفياتي حول رقبة النظام المغربي بعد صفقة الفوسفات !! الى تصوير الانقلاب بانه تم لصالح المغرب وبانه اكثر يمينية من حكم « الاستاذ » !

ولعل في سرد اهم الاسباب التي ادت الى الانقلاب الذي لم يفاجأ به كثير من المهتمين بالشؤون الافريقية العربية ما يلقي بعض الضوء على التوجهات الجديدة التي لا يستبعد ان تسير فيها الحكومة التي تسلمت مقاليد القيادة :

● تدهور الوضع الاقتصادي للبلاد بسبب الارتباط الاقتصادي بفرنسا الذي وصل الى حد ان اصبحت فيه شركة « ميغرما » المحتكرة لاستخراج وتصدير الحديد تشكل دولة داخل الدولة قبل تأميمها في العام ١٩٧٤ ، وبسبب الجفاف الذي تتعرض له اكبر بلدان الساحل الافريقي ، وقد ادى جفاف العام الماضي الى خسارة في الثروة الحيوانية - وهي الثروة الاساسية للشعب - الى نسبة ٧٥ بالمائة وهو ما يحتاج عشر سنوات لتعويضه ، وقد ادت هذه الخسائر الى القفز بالهجرة الى العاصمة نواكشوط حتى وصل عدد سكانها العام الماضي الى ١٢٠ الف بعد ان كان ٤٠ الفا في السنوات القليلة السابقة ، بكل ما تطرحه الهجرة الفجائية للسكان الفقراء من مشاكل ملحة وعاجلة ، وهو ما دفع بالنظام الى التراجع عن مشروعاته القليلة في التنمية والتخطيط واقامة بعض التعاونيات وقد وصل تراجع الحكومة عن سياستها الاقتصادية السابقة الى ذروته باعلان فتح ابواب شركة المعادن المؤممة من جديد في وجه الاستثمارات المالية الاجنبية .

● اما الوضع السياسي فقد وصل الى قمة تدهوره بعودة النظام الموريتاني - طواعية هذه المرة - الى الالتحاق بالنظام المغربي والدوران في فلكه كنظام تابع مثله لكنه اقوى اقتصاديا وعسكريا بما لا يقاس (يبلغ تعداد القوات المسلحة الموريتانية ١٢ الفا في اكثر التقديرات مبالغة بينما تبلغ القوات المسلحة المغربية ٨٠ الفا، مع فارق نوعي يجعل من الجيش الموريتاني شرطة لا بأس بها) .

لقد ظلت المغرب غير معترفة بموريتانيا منذ حصولها على الاستقلال في العام ١٩٦٠ ، وظلت تطالب بضمها اليها باعتبارها مقاطعة مغربية اقتطعها الاستعمار .. وقد حالت المغرب بنفوذها بين جامعة الدول العربية وبين الاعتراف بموريتانيا ولم يتم هذا الاعتراف الا في العام ١٩٧٣ .. مما فوت على موريتانيا سنوات طويلة من الاستفادة من الاستثمارات العربية في تنفيذ بعض المشروعات واضعف بالتالي من قدرة ولد داده على بناء مؤسسات دولته بما فيها الجيش ، الذي لم يستطع صد هجمات ثوار بوليساريو التي ترى في موريتانيا الحلقة الاضعف بين سلسلة اعداء حقها في تقرير مصيرها ..

لقد وقفت الظروف الاقتصادية والسياسية بحكومة ولد داده بسرعة على حافة الاختيار بين اقامة علاقات اخوية وثيقة مع النظام الجزائري الوطني ومع الشعب الصحراوي وبين الارتماء بين احضان النظام المغربي العميل والقادر على حمايته .. واختار ولد داده بحكم تكوينه ان يسلم قيادته لفرنسا والمغرب بعد ان ظل عنيدا في حرصه على استقلال بلاده عن النظام المغربي لمدة اثني عشر عاما ..

● الى اين ؟! .. ذلك هو المجهول :

المجتمع الموريتاني مكون في غالبيته من الرعاة والمزارعين وفي اقليته من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة المرتبطة بالاستعمار الفرنسي .. والذي لم يعرف من اشكال العمل السياسي غير حزبين هما حزب الشعب الموريتاني الحاكم والذي كان يرأسه ولد داده ، وحزب « الكادحين » التقدمي السري والذي شكل التدخل المغربي المباشر استفزازا لقطاعات من الحزب الحاكم نمت في مناخ النضال ضد الالحاق المغربي ولحزب الكادحين الذي يقوم في دعايته التحريضية على فضح عملية « الابتلاع بالحسنى » التي يقوم بها الملك الحسن لموريتانيا في السبعينات تحت اسم حمايتها من حرب الصحراء بعد ان عجز عن ابتلاعها بالقوة في الستينات .

كل هذه الاسباب قد تعطي مؤشرات للتوجه السياسي القادم للانقلاب العسكري الموريتاني . الذي قد لا يخرج خصوصيته عن اطار قانون الانقلابات العسكرية في « العالم الثالث » والذي يلخصه احد المفكرين الاشتراكيين بأنه لا يهدد مصالح الطبقة البرجوازية المحلية ولا يعوض عن غيابها ، بل يميل الى تمثيل تلك الطبقة والتعويض عن عجزها وترسيخ مراكزها كفئة حاكمة متكاملة وملتحمة * .

وبعد ان تلتحم الفئة الحاكمة في موريتانيا وتتكامل ستفصح بسرعة ووضوح عن توجهها الذي ستمليه مصالح القطاعات الاقوى فيها : اما الالتحاق بمجموعة الانظمة الوطنية العربية والعودة للاخذ بنظام التخطيط لتنمية المجتمع ونقله من تخلفه .. واما الاستقرار الجسم في بطن الملك الحسن الثاني دون تكليف اسنانه مشقة البلع !

---

* الطبقة الوسطى والانقلابات العسكرية - جوزي نون - من كتاب الامبريالية وقضايا التطور الاقتصادية في البلد المتخلف - ترجمة عصام الخفاجي - دار ابن خلدون .